

الرحمة والعدل في المزامير والأمثال



السبت بعد الظهر

المراجع الأسبوعية: مزمور ٩: ٧-٩، ١٣-٢٠؛ مزمور ٨٢؛ مزمور ١٠١؛ مزمور ١٤٦؛ أمثال ١٠: ٤؛ أمثال ١٣: ٢٣، ٢٥؛ أمثال ٣٠: ٧-٩.

آية الحفظ: «اقضوا للذليل ولليتيم. أنصفوا المسكين والبائس. نجوا المسكين والفقير. من يد الأشرار أنقذوا» (مزمور ٨٢: ٣، ٤).

يصف سفر المزامير وسفر الأمثال اختبار العيش مع الله في أمور الحياة الشائعة، وليس فقط في أوقات العبادة أو الأنشطة الروحية الأخرى. في حين يُقدّم سفر الأمثال مجموعة كبيرة من الحكم العملية — **بدءًا** من العلاقات والعائلات إلى مجال الأعمال والحكومات — فإنّ المزامير عبارة عن مجموعة من الأغاني (التسايب) التي تغطّي مجموعة متنوعة من الانفعالات والمشاعر والاختبارات الروحية **بدءًا** بالمراثي إلى تسابيح الفرح والابتهاج وكل شيء بينهما. من السهل أن نرى بأنّ إيماننا يجب أن يُحدِث فرقًا في كل جانب وكل اختبار في حياتنا، لأن الله يهتم بكل جوانب حياتنا. في غضون ذلك، فإنّ أي تأمل أو تفكير بالحياة في هذا العالم الساقط لا يمكنه تجاهل أو غض الطرف عن الظلم الذي يتغلغل في الحالة البشرية. في حقيقة الأمر، فإنّ الظلم يوصف تكرارًا بأنه شيء يهتم به الرب ويسعى لتخفيفه وإزالته. إنه هو رجاء الذين لا رجاء لهم. على الرغم من أننا نستطيع فقط مُلامسة ما تقوله هذه الكتب عن هذا الموضوع، فربما سيلهمك هذا الدرس لتكون سابقًا أكثر في تلبية احتياجات الفقراء، والمظلومين، والمهملين الذين يعيشون حولنا والذين نحن ملزمون بمساعدتهم.

* نرجو التعمّق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٢٧ تموز (يوليو).

المزامير: أغاني (تساويح) رجاء للمظلومين

كما لاحظنا بالفعل، الله يرى ويسمع الناس الذين هم في محنة وضيق. وفي أغلب الأحيان نسمع في المزامير صرخات من أناس وثقوا بالله لكنهم لا يرون العدالة تأخذ مجراها. إنَّ التأكيدات على صلاح، وعدل، وقوَّة الله تبدو بأنَّها قد فُهرت من قِبَل الظلم والطغيان التي اختبرتها وشاهدها أصوات هذه المزامير.

مع ذلك، فهذه هي تساويح أولئك الذين ما زالوا يسبحون. ولم يخمد إيمانهم ولا حياتهم. فما زال هناك رجاء؛ والأمر المُلح هو أن يتصرَّف الله قبل فوات الأوان، قبل أن ينتصر الشر، قبل أن يهلك المظلومون تحت عبء الشر الذي يواجهونه. بهذه الطريقة، يحاول كتبة المزامير أن يُقيموا جسراً أو يسدُّوا الهوة بين تثبیت إيمانهم وبين تجارب ومآسي الحياة.

اقرأ مزمور ٩: ٧-٩؛ ١٣-٢٠. هل تستطيع أن تتخيَّل الظروف التي أحاطت بدادود — كاتب المزمور؟ هل يمكنك أن تشعر بالصراع بين إيمانه بصلاح الله وبين اختياره الذي يمر به؟ كيف تعاملت مع صراع الإيمان بالله في ظل أوقات من التجارب القاسية؟

عبر كل المزامير، فإنَّ الجواب المُتكرر لهذا الصراع هو الرجاء والوعد بصلاح الله والدينونة العادلة. قد يبدو بأنَّ الشر والظلم ينتصران في الزمن الحاضر، لكن الله سيدين فاعلي الشر والظالمين. وسيُعاقبون فيما أولئك الذين تسببوا في إيذائهم وظلمهم سيُسردون ويتجدَّدون. في كتاب تأملات في المزامير، يصف سي. أس. لويس دهشته المبدئية للإنفعال والشوق لدينونة الله كما عبَّر عنها تكررًا في المزامير. وإذ لاحظ بأنَّ كثيرين من قُرَّاء الكتاب المقدس اليوم يعتبرون الدينونة شيئاً يدعو للخوف، أخذ بنظر الإعتبار منظور اليهودي الأصلي وكتب ما يلي: «آلاف من الناس الذين جُرِّدوا من كل ما يمتلكون والذين لديهم الحق الكامل وإلى جانبهم، سيتم الاستماع إليهم أخيراً. بالطبع هم لا يخشون الدينونة. فهم يعلمون أنَّ قضيتهم غير قابلة للمُساءلة وليس من خطأ فيها — لو أمكن فقط الاستماع إليها. عندما يأتي الله ليدين، ستُسمع أخيراً». (سي. أس. لويس، كتاب تأملات في المزامير، [نيويورك: هاركورت، بريس آند كومباني، ١٩٥٨]، صفحة ١١).

في المزامير، نرى رجاءً للمظلومين، حتى في الزمن الحاضر، حتى وسط معاناتهم وآلامهم وخيبات أملهم الحالية.

ما هي الأسباب التي لدينا لننظر إلى الدينونة كشيء إيجابي، وليس كشيء يدعو للخوف؟

«يا رب أن لك أن تعمل» (ترجمة كتاب الحياة)

اقرأ مزمور ٨٢. ما هي الرسالة التي لنا هنا؟

برغم التنظيم وأحكام المجتمع التي أعطاها الله لهم، فشلت الأمة الإسرائيلية في أوقات مختلفة في تاريخهم للعيش وفقاً لهذه الخطة. وبكل سهولة أصبحوا هم أيضاً مثل الأمم المحيطة بهم، يعيشون وفقاً لنمط حياة الظلم والقهر. القادة والقضاة كانوا يعتنون ويهتمون بأنفسهم فقط، وكان يُمكن شراء خدماتهم عن طريق الرشاوي. ومع عدم وجود محاكم تحميهم، كان عامة الشعب، وخاصة الفقراء منهم، يخضعون للاستغلال.

إنّ مزمور ٨٢ هو استجابة لموقف كهذا. فهو يصف دور الله كقاضٍ أعلى، ويصوّر مشهداً فيه يدين الله القادة وحتى قضاة الشعب. يشدد هذا المزمور على أنّ أولئك الذين يؤدون أدواراً كهذه في المجتمع «أقيموا تحت رقابته» (روح النبوة، الأنبياء والملوك، صفحة ١٦٨). إنهم يشغلون مناصبهم ويديرون عملهم كممثلين ومرؤوسين من الله. وحسب نظرة كاتب المزمور، فإنّ عدالة الله هي مثال ونموذج لكيفية عمل العدالة الأرضية، وهي تُقدّم أيضاً المعيار الذي بمقتضاه يمكن الحكم على العدل أو الظلم — والذين يطبّقونه.

يُختتم المزمور بنداء خاص هو «قُمْ» (مزمور ٨٢: ٨)، وذلك ليتدخل الله وليوقف الظلم المنتشر انتشاراً واسعاً في الأمة. وعلى غرار كثير من المزامير، يُعطي هذا المزمور صوتاً لمن لا صوت لهم وللمظلومين، أولئك الذين أُسكّنت أصواتهم بواسطة الأنظمة الظالمة التي عاشوا وعملوا فيها.

يُقدّم مزمور ٨٢ التماساً إلى الله في مكانته كقاضٍ أعلى وحاكم أسمى للكون ولكل الأمم. فلا توجد محكمة أو سلطة أعلى يُمكن أن يُقدم إليها هذا التوسّل والالتماس. يأتي اليقين بأنه عندما لا تصغي المحاكم الأرضية أو تدعم صرخات المساكين والمظلومين، الذي هو الحال في كثير من الأحيان هنا، فما زال هنالك فرصة لا يمكن إنكارها لطلب العون والمُساعدة.

في أوقات مختلفة في حياتنا قد نجد أنفسنا كضحايا للظلم، ولكن في أوقات أخرى قد نكون نحن الذين نرتكب أو نستفيد من الظلم. في فقراتٍ كالتالي وردت في مزمور ٨٢، نستطيع أن نجد بصيرة وحكمة، سواء كنا نحن المظلومين أو الظالمين. إنّ الله يهتم بالقضاة الظالمين، أيضاً، ويصفهم كأبناء له ويريد منهم أن يختاروا العيش حياة أفضل (انظر مزمور ٨٢: ٦). ولذلك، هنالك رجاء حتى للذين هم على الجانب الخاطئ من الظلم، إذا سمحوا لأنفسهم أن يتغيروا.

وعود ملك

اقرأ مزمور ١٠١. مع أن هذا المزمور كتب لأجل القادة، ما هي النصيحة الهامة التي يمكن أن نأخذها لأنفسنا، أيًا كان وضعنا ومركزنا في الحياة؟

مزمور ١٠١ هو موضوع يخص القادة. ويعتقد أن هذه الآيات أُلِّفَت مِن قِبَل داود في أوائل أيام حكمه كملك على إسرائيل. وربما تكون قد اقْتُبِسَت من وعود كان هو قد قطعها في وقت تنصيبه ملكًا. في اختباره كمُحاربٍ لشاول وبعد ذلك كهارب ومُطارِدٍ منه، رأى بنفسه كيف يمكن لملك ضلَّ طريقه أن يُدمِّر الأمة وعائلته. فعزم داود على أن يكون صنفًا مختلفًا من القادة.

قليلون منا يمكن أن يكونوا سياسيين أو قادة وطنيين، ولكننا جميعًا لنا أدوار في الحياة من خلالها يكون لنا فرصة للتأثير ولتشجيع الآخرين. قد يكون هؤلاء زملاؤنا في العمل، أو أشخاص نختلط بهم في المجتمع، العائلة، أو الكنيسة. كما كتبت إلن هوايت تعليقًا على مثل هذه الأطر القيادية: «إن تعهدات داود، الواردة في مزمور ١٠١، يجب أن تكون تعهدات كل الذين تقع عليهم مسؤوليات حماية التأثيرات في البيت» (روح النبوة، نصائح للأباء والمعلمين والتلاميذ، صفحة ١١٩).

عندما تكون لدينا الفرصة، يجب أن نكون على استعداد لأن نقترح وندعم هذه المبادئ لأولئك الذين يشغلون مراكز القيادة. وجميعنا، في مواضع القيادة والنفوذ والتأثير الخاصة بنا، لدينا الفرصة لتطبيق مبادئ داود في القيادة حتى تساعدنا لتكون بركة للآخرين.

إنَّ نقطة البداية لداود هي إكرام الله من أجل رحمته وعدله (مزمور ١٠١: ١)، والتي أصبحت الأساس لكل ما سعى داود للتمسك به ودعمه في قيادته. لقد سعى أن يتعلَّم ويُمارس هذه الصفات ذاتها في حياته وعمله. ولعمل ذلك، يجب عليه أن يُقاوم التجارب تجاه اقتراف الخطأ، والفساد، وعدم الأمانة، وهذه كلها فخاخ خاصَّة لمن هم في موقع القيادة والنفوذ.

مع إدراكه بمدى أهمية المستشارين الصالحين لمساعدته في عمل الصلاح، تعهَّد داود أن يبحث عن مستشارين أصحاب ثقة وأن يُعيِّن مسؤولين أمناء في المناصب الرسمية. العدل والرحمة كانا علامة قيادته، حتى وسط أولئك الذين عملوا معه وله.

قد لا نكون في منصب يحوِّلنا أن يكون لدينا مستشارين ومسؤولين، ولكن كيف يمكننا أن نملاً حياتنا بتأثيرات تساعدنا على أن نحيا وأن نقود (حيثما استطعنا) بالعدل والرحمة لأولئك الذين هم في حاجة إليهما؟

السير مع الرب

إذ نتقرب من نهاية سفر المزامير، يبدو بأن هتافات التسبيح تتصاعد أكثر فأكثر. تبدأ المزامير الخمسة الأخيرة بالأمر البسيط والمباشر قائلة «سُبِّحِي يا نفسي الرب» ولكن المزمور الأول من هذه المزامير الخمسة، مزمور ١٤٦، يتضمّن تركيزًا خاصًا على اهتمام الله بالفقراء والمظلومين كسبب رئيس لهذا الهتاف.

اقرأ مزمور ١٤٦. ما هي الرسالة التي لنا هنا؟ ما الذي يقوله الله، خاصة في الآيات ١٤٦: ٥-٩؟

كما أنّ الله بلا شك هو خالق هذا العالم (انظر مزمور ١٤٦: ٦)، فإنّ هذا المزمور يصف عمل الله المستمر في العالم كالقاضي، والمُعيل، والمحرم، والشافي، والمُعِين، والمدافع — كل هذه تركز على الأشخاص الذين في حاجة خاصة ومحددة لمثل هذا النوع من العون والمساعدة. إنّها رؤية ملهمة لما يفعله الله ويسعى لفعله في حياتنا، وفي مجتمعاتنا، وفي عالمنا. نعتقد أحيانًا بأنّ اهتمامنا بالفقراء والمحتاجين هو شيء ينبغي أن نقوم به لأن الله قال ذلك. ولكن مزمور ١٤٦ يقول بأنّ هذا شيء يفعله الله بالفعل — ونحن مدعوون أن ننضم إليه. عندما نعمل في محاربة الفقر، والظلم، والمرض، فإننا بالحقيقة نعمل مع الله ومع أهدافه. أي امتياز يمكن أن يكون أعظم من المشاركة مع الله في تحقيق شيء ملهم كما في مزمور ١٤٦؟

ولكن هناك أيضًا منافع لنا. غالبًا ما يتحدث المسيحيون عن بحثهم عن الله وعن رغبتهم في أن تكون لهم علاقة أوثق معه. مع ذلك، فإنّ آيات مثل مزمور ١٤٦: ٧-٩، وآيات أخرى كثيرة عبر الكتاب المقدس، تُبيّن لنا أنّ إحدى الطرق للعثور على الله هي أن ننضم إليه فيما يفعله هو. وهكذا، فإذا كان الله يعمل ليرفع الفقراء، والمرضى، والمظلومين، كما يقول مزمور ١٤٦ أنه يفعل، فينبغي علينا أن نعمل معه أيضًا. «جاء المسيح إلى هذه الأرض ليسير ويعمل بين الفقراء والمتألّمين. كان لهم النصيب الأكبر من اهتمامه وعنايته. واليوم، من خلال أبنائه، يزور المسيح المساكين والمحتاجين، ويخفّف البلاء ويرفع الألم. «أزل الألم والاحتياج، لن يكون لنا سبيل لنفهم رحمة الله ومحبته، لا سبيل لنعرف شفقة أبينا السماوي وعطفه وودّه. لم يستعرض الإنجيل أبدًا مظهرًا أكثر جمالاً مما عرضه عندما جاء إلى أكثر المناطق حاجة وعوزًا وفقيرًا» (روح النبوة، شهادات للكنيسة، المجلد السابع، صفحة ٢٢٦).

كيف كان اختبارك في كيف نُصبح قريبين إلى الله من خلال خدمتنا للآخرين؟

الأمثال: رحمة للمحتاجين

كجموعة من أقوال الحكمة، يتناول سفر الأمثال مجالات متنوعة من المواضيع واختبارات الحياة. من بين هذه المواضيع توجد انعكاسات عن الفقر، والغنى، والقناعة، والعدل، والظلم — وأحياناً من زوايا مختلفة. إنَّ الحياة ليست دائماً بسيطة وعلى نحو مستقيم، وسفر الأمثال يُنبِّهنا إلى الظروف والاختيارات المختلفة التي تؤثر على الحياة وكيفية عيشها، حتى بين من هم أمناء لله.

اقرأ وقارن أمثال ١٠: ٤؛ أمثال ١٣: ٢٣، ٢٥؛ أمثال ١٤: ٣١؛ أمثال ١٥: ١٥، ١٦؛ أمثال ١٩: ١٥، ١٧؛ أمثال ٣٠: ٧-٩. ما الذي تقوله هذه الآيات بالنسبة للغنى والفقر ومساعدة الذين هم في حاجة؟

يُشدّد سفر الأمثال على اهتمام الله بالفقراء والمحرومين ورعايته لهم. في بعض الأحيان يكون الناس فقراء بسبب الظروف، أو القرارات والاختيارات الخاطئة، أو الإستغلال، ولكن مهما كانت أسباب وضعهم أو حالهم، فالرب ما زال هو خالقهم (انظر أمثال ٢٢: ٢) والمدافع عنهم (انظر أمثال ٢٢: ٢٢، ٢٣). هؤلاء الناس لا يجب أن يُظلموا أو يُستغلوا، مهما كانت أخطاؤهم.

في حين يعرض سفر الأمثال حياة أفضل من خلال اختيار الحكمة وطاعة الله، فإنَّ الغنى والثراء ليسا دائماً نتيجة بركة الله. إنَّ الإخلاص لله يُنظر إليه دائماً على أنه أكثر أهمية وفي نهاية المطاف أكثر مُجازاة من المكاسب المادية: «القليل مع العدل خير من دخلٍ جزيل بغير حق» (أمثال ١٦: ٨).

أمر آخر ذو أهمية في سفر الأمثال هو الأمانة والعدل في التعاملات والأعمال التجارية، والحكومية، وتطبيق العدالة (انظر أمثال ١٤: ٥، ٢٥؛ أمثال ١٦: ١١-١٣؛ أمثال ١٧: ١٥؛ أمثال ٢٠: ٢٣؛ أمثال ٢١: ٢٨؛ أمثال ٢٨: ١٤-١٦). سفر الأمثال لا يهتم فقط بحياة الأشخاص بصورة فردية لكنه يعرض أيضاً رؤية حول الكيفية التي يجب أن يعمل بها المجتمع ككل من أجل منفعة الجميع، خاصة أولئك الذين هم بحاجة للحماية. وبيدكرنا مرة أخرى أن أولئك الذين يحكمون ويقودون يفعلون ذلك بمساعدة الله (انظر أمثال ٨: ١٥، ١٦)، ويجب أن يتصرفوا كوكلاء لنعمته وشفقته تجاه الذين هم في حاجة.

من السهل لأي شخص أن يشعر بالأسف والحزن على الذين يمرُّون في ظروف سيئة. مع ذلك، كيف يمكننا أن نُحوّل الشعور بالأسف والحزن إلى عمل فعَّال؟

لمزيد من الدرس: اقرأ لروح النبوة، من الفصل الذي بعنوان «سنو حياة داود الأخيرة»، صفحة ٦٧٠-٦٧٧ من كتاب الآباء والأنبياء؛ سي. أس. لويس، فصل بعنوان «الدينونة في المزامير»، صفحة ١٥-٢٢، من كتاب تأملات في المزامير. «إن مزامير داود تتناول سلسلة الاختبارات كلها، فمن أعماق الشعور بالخطية وحكم الإنسان على نفسه، إلى ذروة الإيمان والشركة التامة مع الله. إن تاريخ حياته يعلن أن الخطية لا تجلب غير العار والويل. ولكنه يعلن أيضًا أن محبة الله يمكنها الوصول إلى أبعد الأعماق، وأن الإيمان يرفع النفس الثابتة إلى حيث تشارك أبناء الله في بنوتهم. ومن بين كل التأكيدات التي تشتمل عليها كلمة الله، نجد أن تاريخ حياة داود هو من أقوى الشهادات على أمانة الله وعدالته ورحمته القائمة على عهده» (روح النبوة، الآباء والأنبياء، صفحة ٦٧٦).

بالإشارة إلى الحكمة في سفر الأمثال: «هذه هي المبادئ التي يرتبط بها خير المجتمع وسعادته، للمعاشرات الزمنية والدينية. إن هذه المبادئ هي التي تعطي الضمان لسلامة الأموال والحياة. لأن كل ما يجعل الثقة والتعاون من الأمور الممكنة نجد العالم مدينًا فيه لشريعة الله كما هي مقدمة في كلمته، وكما لا نزال نلاحظه في الأمور الغامضة وتكاد تكون مطموسة من قلوب الناس» (روح النبوة، التربية، صفحة ١٦٠).

أسئلة للنقاش

١. بأية طرق يمكنك أن تعتبر نفسك قائدًا أو في مركز نفوذ أو تأثير؟ كيف يمكنك أن تكون أداة للعدل في ذلك الجانب من حياتك؟
٢. تأمل في حضارة أو ثقافة المجتمع الذي تعيش فيه وفي بنائه المجتمعي. بأية طريقة يمكنك أن تعمل ضمن النظام القائم لتحسين حال الذين هم في حاجة؟
٣. لماذا نُعتَبَر مبادئ العدالة والإنصاف هامة جدًّا في بناء مجتمع قوي؟
٤. في حين يُرَكِّز سفر الأمثال على الحكمة لعيش حياة جيدة، ما الذي يخبرنا به عن الله؟

ملخص: المزامير والأمثال سفران يتناغمان بشكل خاص مع تحديات العيش بأمانة وسط اختبارات وتجارب الحياة الشائعة. كلاهما يُقدِّمان رؤى عن نظرة الله إلى المجتمع وإلى اهتمامه الخاص بالفقراء والمظلومين. إنَّ الصرخة في المزامير والحكمة في الأمثال هي التي يلحظها الله وسيتمدُّخَل لحماية أولئك الذين غالبًا ما يُهْمَلون أو يُسْتَعْلون. وإذا كان ذلك هو موقف الله، فهو ما يجب أن يكون عليه موقفنا نحن أيضًا.